

تفسير ابن كثير

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي^ق
بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا^ق
قُلْ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ

يقول تعالى متوعدا للكافرين به ، والمخالفين رسله والمكذبين بأياته ، والصادقين عن سبيله :

(هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك) وذلك كائن يوم القيامة . (أو يأتي

بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك) الآية ، وذلك قبل يوم القيامة كائن من

أمارات الساعة وأشراتها كما قال البخاري في تفسير هذه الآية : حدثنا موسى بن إسماعيل

، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا عمارة ، حدثنا أبو زرعة ، حدثنا أبو هريرة ، رضي الله عنه ،

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من

مغربها ، فإذا رآها الناس آمن من عليها . فذلك حين (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت

من قبل) . حدثنا إسحاق ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن منبه ، عن

أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس

من مغربها ، فإذا طلعت وراها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها " ثم قرأ هذه الآية .هكذا روي هذا الحديث من هذين الوجهين . ومن الوجه الأول أخرجه بقية الجماعة في كتبهم إلا الترمذي ، من طرق ، عن عمارة بن القعقاع بن شبرمة ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن أبي هريرة ، به .وأما الطريق الثاني : فرواه عن إسحاق غير منسوب ، فقيل : هو ابن منصور الكوسج ، وقيل : إسحاق بن نصر والله أعلم .وقد رواه مسلم عن محمد بن رافع النيسابوري ، كلاهما عن عبد الرزاق ، به .وقد ورد هذا الحديث من طرق أخر عن أبي هريرة ، كما انفرد مسلم بروايته من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، به .وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن فضيل ، عن أبيه ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ثلاث إذا خرجن (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا) طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض "ورواه أحمد ، عن وكيع ، عن فضيل بن غزوان ، عن أبي حازم سلمان ، عن أبي هريرة به ، وعنده : " والدخان "ورواه مسلم ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وزهير بن حرب ، عن

وكيع .ورواه هو أيضا والترمذي ، من غير وجه ، عن فضيل بن غزوان ، به .ورواه إسحاق بن عبد الله الفروي ، عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة . ولكن لم يخرج أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه ، لضعف الفروي ، والله أعلم .وقال ابن جرير : حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا شعيب بن الليث ، عن أبيه ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت آمن الناس كلهم ، وذلك حين (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) الآية .ورواه ابن لهيعة ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، به . ورواه وكيع ، عن فضيل بن غزوان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، به .أخرج هذه الطرق كلها الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره .وقال ابن جرير : حدثنا الحسن بن يحيى ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها ، قبل منه "لم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة .حديث آخر عن أبي ذر الغفاري : في الصحيحين وغيرهما ، من طرق ، عن إبراهيم بن يزيد بن

شريك التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذر جندب بن جنادة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تدري أين تذهب الشمس إذا غربت؟ " قلت : لا أدري ، قال : " إنها تنتهي دون العرش ، ثم تخر ساجدة ، ثم تقوم حتى يقال لها : ارجعي فيوشك يا أبا ذر أن يقال لها : ارجعي من حيث جئت ، وذلك حين : (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) . حديث آخر عن حذيفة بن أسيد أبي سريحة الغفاري ، رضي الله عنه : قال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا سفيان ، عن فرات ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ، ونحن نتذاكر الساعة ، فقال : " لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى ابن مريم ، والدجال ، وثلاثة خسوف : خسف بالمغرب ، وخسف بالمشرق ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق - أو : تحشر - الناس ، تبيت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا " وهكذا رواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث فرات القزاز ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، عن حذيفة بن أسيد ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح

حديث آخر عن حذيفة بن اليمان ، رضي الله عنه :قال الثوري ، عن منصور ، عن ربي
، عن حذيفة قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، ما آية طلوع
الشمس من مغربها؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " تطول تلك الليلة حتى تكون قدر
ليلتين ، فبينما الذين كانوا يصلون فيها ، يعملون كما كانوا يعملون قبلها والنجوم لا تسري ،
قد قامت مكانها ، ثم يرقدون ، ثم يقومون فيصلون ، ثم يرقدون ، ثم يقومون فيظل عليهم
جنوبهم حتى يتناول عليهم الليل ، فيفزع الناس ولا يصبحون ، فبينما هم ينتظرون طلوع
الشمس من مشرقها إذ طلعت من مغربها ، فإذا رآها الناس آمنوا ، ولا ينفعهم إيمانهم "
رواه ابن مردويه ، وليس في الكتب الستة من هذا الوجه والله أعلم .حديث آخر عن
أبي سعيد الخدري - واسمه : سعد بن مالك بن سنان - رضي الله عنه وأرضاه :قال الإمام
أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا ابن أبي ليلى ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ،
عن النبي صلى الله عليه وسلم : (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها) قال : "
طلوع الشمس من مغربها " .ورواه الترمذي ، عن سفيان بن وكيع ، عن أبيه ، به . وقال :
غريب ، ورواه بعضهم ولم يرفعه .وفي حديث طالوت بن عباد ، عن فضال بن جبير ، عن

أبي أمامة صدي بن عجلان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن أول الآيات
طلوع الشمس من مغربها " وفي حديث عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش ، عن
صفوان بن عسال قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن الله فتح
بابا قبل المغرب عرضه سبعون عاما للتوبة " ، قال : " لا يغلق حتى تطلع الشمس منه " رواه
الترمذي وصححه النسائي ، وابن ماجه في حديث طويل . حديث آخر عن عبد الله بن
أبي أوفى : قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن علي بن دحيم ، حدثنا أحمد بن حازم ،
حدثنا ضرار بن سرد ، حدثنا ابن فضيل ، عن سليمان بن زيد ، عن عبد الله بن أبي
أوفى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ليأتين على الناس ليلة تعدل
ثلاث ليال من لياليكم هذه ، فإذا كان ذلك يعرفها المتنفلون ، يقوم أحدهم فيقرأ حزبه ،
ثم ينام ، ثم يقوم فيقرأ حزبه ، ثم ينام . فبينما هم كذلك إذ صاح الناس بعضهم في بعض
فقالوا : ما هذا؟ فيفزعون إلى المساجد ، فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها ، فضج
الناس ضجعة واحدة ، حتى إذا صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها " قال
: " حينئذ لا ينفع نفسا إيمانها " هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس هو في شيء من

الكتب الستة . حديث آخر عن عبد الله بن عمرو . قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا أبو حيان ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير قال : جلس ثلاثة نفر من المسلمين إلى مروان بالمدينة فسمعوه يقول - وهو يحدث في الآيات - : إن أولها خروج الدجال . قال : فانصرف نفر إلى عبد الله بن عمرو ، فحدثوه بالذي سمعوه من مروان في الآيات ، فقال لم يقل مروان شيئاً قد حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل ذلك حديثاً لم أنسه بعد ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ضحى ، فأيتهما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على أثرها " ثم قال عبد الله - وكان يقرأ الكتب - : وأظن أولها خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الرجوع فأذن لها في الرجوع ، حتى إذا بدا الله أن تطلع من مغربها فعلت كما كانت تفعل : أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الرجوع ، فلم يرد عليها شيء ، ثم تستأذن في الرجوع فلا يرد عليها شيء ، ثم تستأذن فلا يرد عليها شيء ، حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب ، وعرفت أنه إذا أذن لها في الرجوع لم تدرك المشرق ،

قالت : ربي ، ما أبعد المشرق . من لي بالناس . حتى إذا صار الأفق كأنه طوق استأذنت

في الرجوع ، فيقال لها : من مكانك فاطلعي . فطلعت على الناس من مغربها " ، ثم تلا

عبد الله هذه الآية : (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها

خيرا) الآية . وأخرجه مسلم في صحيحه ، وأبو داود وابن ماجه ، في سننيهما ، من

حديث أبي حيان التيمي - واسمه يحيى بن سعيد بن حيان - عن أبي زرعة بن عمرو بن

جرير ، به . حديث آخر عنه : قال الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حبان الرقي

، حدثنا إسحاق بن إبراهيم - بن زبير الحمصي - حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن

دينار ، حدثنا ابن لهيعة ، عن حيي بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد

الله بن عمرو بن العاص قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا طلعت الشمس من

مغربها خر إبليس ساجدا ينادي ويجهر : إلهي ، مرني أن أسجد لمن شئت " قال :

فيجتمع إليه زبانيته فيقولون : يا سيدهم ، ما هذا التضرع؟ فيقول : إنما سألت ربي أن ينظر

إلى الوقت المعلوم ، وهذا الوقت المعلوم " قال " ثم تخرج دابة الأرض من صدع في

الصفا " قال : " فأول خطوة تضعها بأنطاكية فتأتي إبليس فتخطمه . هذا حديث غريب جدا

وسنده ضعيف ولعله من الزاملتين اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك ، فأما
رفعه فمنكر ، والله أعلم .حديث آخر عن عبد الله بن عمرو ، وعبد الرحمن بن عوف ،
ومعاوية بن أبي سفيان ، رضي الله عنهم أجمعين :قال الإمام أحمد : حدثنا الحكم بن
نافع ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد يرده إلى
مالك بن يخامر ، عن ابن السعدي ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تنقطع
الهجرة ما دام العدو يقاتل " فقال معاوية ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن عمرو
بن العاص : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الهجرة خصلتان : إحداهما تهجر
السيئات ، والأخرى تهاجر إلى الله ورسوله ، ولا تنقطع ما تقبلت التوبة ، ولا تزال التوبة
مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه ، وكفي
الناس العمل " هذا الحديث حسن الإسناد ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة ،
والله أعلم .حديث آخر عن ابن مسعود ، رضي الله عنه :قال عوف الأعرابي ، عن محمد
بن سيرين ، حدثني أبو عبيدة ، عن ابن مسعود ؛ أنه كان يقول : ما ذكر من الآيات فقد
مضى غير أربع : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض ، وخروج يأجوج

ومأجوج . قال : وكان يقول : الآية التي تختتم بها الأعمال طلوع الشمس من مغربها ، ألم

تر أن الله يقول : (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها) الآية كلها ، يعني

طلوع الشمس من مغربها . حديث ابن عباس ، رضي الله عنهما : رواه الحافظ أبو بكر بن

مردويه في تفسيره من حديث عبد المنعم بن إدريس ، عن أبيه ، عن وهب بن منبه ، عن

ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا - فذكر حديثا طويلا غريبا منكرًا رفعه ، وفيه : " أن

الشمس والقمر يطلعان يومئذ مقرونين وإذا نصفًا السماء رجعا ثم عادا إلى ما كانا عليه "

وهو حديث غريب جدا بل منكر ، بل موضوع ، والله أعلم إن ادعى أنه مرفوع ، فأما

وقفه على ابن عباس أو وهب بن منبه - وهو الأشبه - فغير مدفوع والله أعلم . وقال سفيان

، عن منصور ، عن عامر ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : إذا خرج أول الآيات ،

طرحت الأقلام ، وحبست الحفظة ، وشهدت الأجساد على الأعمال . رواه ابن جرير

.فقوله عز وجل (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) أي : إذا أنشأ الكافر إيمانا

يومئذ لا يقبل منه ، فأما من كان مؤمنا قبل ذلك ، فإن كان مصلحا في عمله فهو بخير

عظيم ، وإن كان مخلطا فأحدث توبة حينئذ لم تقبل منه توبته ، كما دلت عليه

الأحاديث المتقدمة ، وعليه يحمل قوله تعالى : (أو كسبت في إيمانها خيرا) أي : ولا يقبل منها كسب عمل صالح إذا لم يكن عاملا به قبل ذلك . وقوله : (قل انتظروا إنا منتظرون) تهديد شديد للكافرين ، ووعيد أكيد لمن سوف بإيمانه وتوبته إلى وقت لا ينفعه ذلك . وإنما كان الحكم هذا عند طلوع الشمس من مغربها ، لاقترب وقت القيامة ، وظهور أشراتها كما قال : (فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراتها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) [محمد : 18] ، وقال تعالى : (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) [غافر : 84 ، 85] .